المدرسة الانجليزية في تحليل العلاقات الدولية "دراسة في الأصول والمنطلقات النظرية"

The English School of International Relations Analysis "A Study in the Origins and Theoretical Perspectives"

مروة خليل محمد مصطفي

دكتوراه – مدرس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة الاسكندرية

المستلخص:

من بين نظريات العلاقات الدولية، هناك المدرسة الانجليزية. إنها أحد أقل النظريات حظاً من حيث الشعبية ومن حيث الإسهامات النظرية، بسبب فروضها النظرية الأساسية غير الواقعية. حيث تؤكد المدرسة الانجليزية على فكرة المجتمع الدولي، وعلى إجماع الدول على أنماط دولية من شأنها أن تمنع الصراع وتبعد الحرب.

وتحتل المؤسسات الدولية مكانةً متميزة، كما تلعب دوراً هاماً في هذه النظرية. أضف إلى ذلك الفاعلون من غير الدول، على غرار المنظمات غير الحكومية NGOs التي لها أهمية وحضور ظاهر في النظرية الانجليزية. هذا كله على الرغم من الانتقادات التي تطال فروض وتطبيقات المدرسة الانجليزية.

ويعد Barry Buzan أحد أبرز أعمدة المدرسة الانجليزية، حيث أثرت كتاباته حقل العلاقات الدولية عموماً والمدرسة الانجليزية على وجه الخصوص. لقد وضح في كتاباته أن الفاعل الدولي هو وحدة التحليل في المدرسة الانجليزية وليس الدولة منفردة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أكد أن سياسات القوة التي تشتهر بها الاتجاهات التقليدية ليست بمثابة مفهوم الأساس ولا السبيل لفهم ظواهر العلاقات الدولية. كما أكد بوزان على أن السلام هو الحالة الطبيعية بين الدول في العلاقات الدولية. وبذلك فإن المجتمع الدولي ممكن في هذه الحالة طالما وجد نمط دولي "سلمي" في العلاقات الدولية.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الدولية – النظرية السياسية – المدرسة الإنجليزية

Abstract of the study:

Among international relations theories, there is the "English School". It is on of the unpopular theories due to its unrealistic assumptions. English School asserts the idea of international society and the consent of the states on international norms which avoid conflict and war.

International institutions have a core position and play an essential role in this theory, and non-state actors like NGOs have also their presence in English School, although there are many critics come to discuss the assumptions and implementations of English School.

Barry Buzan is one of the English School's pillars and his writings enriched the field of international relations along with English School. He illustrates that international actor is the unit of analysis and power politics is not the main concept to understand International relations. Unlike the other theories, Buzan asserts that "Peace" is the natural position in international relations. International Society is possible in this case due to international "peaceful" norms.

Keywords: International Relations – Political theory - The English School

مقدمة:

على الرغم من الأصول غير الانجليزية للنظرية، إلا أنها قد اشتهرت بهذا الاسم "المدرسة الانجليزية" لتكون أحد أكثر النظريات المثيرة للجدل في حقل العلاقات الدولية، ذلك لما تعرضه من فروض تجد من النقاد أكثر ما تجد من الأنصار. فهي كنظرية عبارة عن مزيج أو مركب من المداخل النمطية والعقلانية كما تعترف بالخصائص الأخلاقية للمجتمع الدولي. تبدأ المدرسة الانجليزية من ملاحظة الواقع والاعتراف بالتاريخ، ووجود تقاليد ثلاثة في العلاقات الدولية هي **الهوبزية – الواقعية، والكنطية – العالمية، والجروتية – الدولية**. ومصطلح "**المجتمع الدولي**" يشي بأن **وحدة التحليل** ليست الدولة القومية – الأمر الذي تشتهر به النظرية الواقعية – بل نجد أن **الفاعل الدولي** يعد بمثابة وحدة التحليل الأمر الذي يعني دخول الكيانات الدولية والفواعل من غير الدول إلى المعادلة. وتعترف المدرسة الانجليزية بأن الدول إنما تسلك سلوكاً أخلاقياً وقانونياً في علاقاتها ببعضها البعض، وعليه فإن سياسات

القوة لا يمكن أن تفسر سلوك الدول ولاتمكن من فهم ظواهر العلاقات الدولية. ومن هنا تؤكد المدرسة الانجليزية على السلام وأنه الوضع الطبيعي لوجود الدول المشترك، على اعتبار أن مفهوم الأساس هو **مفهوم المجتمع الدولي.**

المشكلة البحثية:

تكمن المشكلة البحثية في غموض السمات الرئيسية التي تميز المدرسة الانجليزية وتجعلها بمثابة النظرية المتميزة في مجال العلاقات الدولية. وهذا بسبب ندرة ما كتب– لاسيما في المكتبة العربية – في هذه النظرية المثيرة للجدل. ومن هنا يطرح البحث سؤالاً رئيسياً مفاده:

- ماهي أبرز **السمات والخصائص المميزة للمدرسة الانجليزية؟**

وعليه نجد أن هذا التساؤل الرئيسي يثير بعض الأسئلة الفرعية على النحو التالي:

- ما هو تعريف المدرسة الانجليزية وكيف جاءت هذه التسمية؟
- ما هي الفروض الأساسية للمدرسة الانجليزية؟
- ما هو المجتمع الدولي؟ ولماذا يطلق على المدرسة الانجليزية اسم **نظرية المجتمع الدولي؟**
- ما هي العناصر المكونة لنظرية المجتمع الدولي؟ وكيف ترتبط هذه العناصر ببعضها البعض؟
- من هو **عضو المجتمع الدولي** الذي تتم دراسته؟ وبكلمة أخرى ما هي **وحدة التحليل في المدرسة الانجليزية؟**
- ما هي أبرز الانتقادات الموجهة إلى المدرسة الانجليزية؟

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالمدرسة الانجليزية، والكشف عن الفروض الرئيسية لهذه النظرية، وتبيان أهم السمات المميزة لكتابات رواد هذا الفكر. ومن ثم إظهار مواطن الاتفاق أو الاختلاف مع النظرية التقليدية في العلاقات الدولية.ومن هنا يهدف البحث إلى الإجابة على كافة الأسئلة التي وردت في المشكلة البحثية.

منهج البحث:

بناء على ما سبق، يمكن أن نستخدم في هذا البحث المنهج المسحي وذلك بهدف الوصول إلى

جل ما كتب في الإطار النظري للمدرسة الانجليزية. ومن ثم التمكن من إيجاد إجابات محددة على التساؤل الرئيسي في البحث وكذا التساؤلات الفرعية.

خطة البحث:

يمكن أن تسير الخطة البحثية على النحو التالي:

المبحث الأول: نشأة النظرية.

المبحث الثاني: المفاهيم الأساسية للمدرسة الانجليزية.

المبحث الثالث: الفروض الأساسية للمدرسة الانجليزية.

المبحث الرابع: الانتقادات الموجهة للمدرسة الانجليزية.

خاتمة تجمل أبرز ما ورد في البحث.

المدرسة الانجليزية في العلاقات الدولية: "دراسة في الأصول والمنطلقات النظرية"

المبحث الأول

نشأة النظرية

من الضروري بداية أن نناقش الصعوبات المرافقة لتسمية المدرسة الإنجليزية. فإن أخذ التسمية حرفياً يضلل القارئ إلى أبعد مدى، حيث أن عدداً من المؤسسين لهذه المدرسة لم يكونوا من الإنجليز تحديداً. إن المنتمين إلى المدرسة الإنجليزية يقطنون غالباً خارج انجلترا: في استراليا وويلز وكندا والنرويج وألمانيا وحتى في الولايات المتحدة[١]، وجنوب أفريقيا.

ويؤرخ البعض ظهور المدرسة الإنجليزية بالعام ١٩٥٩، وبالتحديد عندما اجتمعت "اللجنة البريطانية لنظريات العلاقات الدولية". ولكن مصطلح "المدرسة الإنجليزية" لم يظهر إلا في العام ١٩٨١، عندما استخدمه Roy Jones في بيان نتائجه واستخدم المصطلح بعد ذلك من هم من غير المدرسة الإنجليزية في العلاقات الدولية – لا سيما الواقعية – في انتقاد النظرية حيث قالوا أن المدرسة

الإنجليزية هي اسم على غير مسمى. كما أن تركيز المدرسة الإنجليزية ينصب على "التاريخ ونظرية المستوى العالمي" للعلاقات الدولية، ولم يكن لها أي اهتمام بالسياسة الخارجية البريطانية. [٢]

وبالتالي نجد أن المدرسة الإنجليزية هو اسم لمجموعة محللي علاقات دولية أوروبيين، ناصروا فكرة أن العلاقات بين الفاعلين الدول تتتشكل وفق مجموعة من الأنماط والقواعد والممارسات التي توطدت عبر مئات السنين من التاريخ الإنساني. هذه الأنماط والقواعد والممارسات تشكل مجموعة غير رسمية من الخطوط العامة للسلوك المقبول بين الدول والفاعلين من غير الدول. والفاعلون الذين يقبلون هذا السلوك هم جزء من مجتمع دولي تتشكل قواعده وأنماطه وسلوكه من التعاون والتكامل بين أعضائه.[٣]

وعلى خلاف المدرسة السلوكية، تقدم المدرسة الإنجليزية مزيجاً أو مركباً من المداخل النمطية والعقلانية، وهي باختصار تركز على الخصائص الأخلاقية والسياسية والاجتماعية للمجتمع الدولي. ومصطلح المجتمع الدولي يعني أنه بغض النظر عن غياب السلطة المركزية "السلطة العليا" إلا أن الدول تسلك سلوكاً قانونياً وأخلاقياً. وبالتالي لا يمكن فهم العلاقات الدولية وفق سياسات القوة كما يدعى الواقعيون. [٤]

ويرى أولئك الذين يرتبطون بالمدرسة الإنجليزية اليوم، أنها تحتل موقعاً متوسطاً في تخصص العلاقات الدولية إلى جانب البنائية، وهذا الموقع للنظرية يعطي مجموعة من المفاهيم والأفكار المختلفة، ويتجنب أسلوب التفكير التقليدى "إما هذا أو ذاك".[٥] وكتب Hadley Bull ما ساهم في تطوير المدرسة الإنجليزية فقال أن:

(١) مادة العلاقات الدولية: ليست "علاقات ما بين الدول" أو التفاعلات بين "وحدات" أخرى. بل إن مادة العلاقات الدولية تتمحور حول إنشاء كيان عام هو "نسق دولي عالمى **Global political system**". بحيث تتضمن الدول، وكذا المناطق regions والمؤسسات ومنظمات غير الحكومية NGOs والجماعات عابرة القومية بل والأفراد وكل الجماعات الإنسانية. ومن خلال تتبع علاقات بين الفاعلين

والأنماط Patterns التي تنتج عن هذه التفاعلات وضع Bull على عاتق نظرية العلاقات الدولية، مهمة تعريف المفاهيم والتنظير لنمط علامات هذه المفاهيم.

(٢) أهمية الفهم التاريخى: فالمعرفة الأكاديمية تحتاج بلا شك إلى خلفية تاريخية، وضرب Bull مثلاً بالولايات المتحدة وتفوقها على منافسيها فمن المهم فهم "لماذا" و "كيف" تحلت أمريكا بقوة استثنائية. لابد من فهم مؤسسات المجتمع الدولي "مثل القانون الدولي وميزان القوة" فهماً تاريخياً ووضع هذه المؤسسات في سياقها التاريخى.

(٣) أهمية القيم: فلا مفر من القيم، فالقيم تعطي معلومة صحيحة عن أي من الموضوعات يجب أن يتم الاهتمام بها ودراستها. [٦]

واقترح Barry Buzan في كتابه "From International to World Society?" أن المدرسة الإنجليزية لا تزال تحتاج للتطوير وأنها تفتقر إلى الإطار التحليلي الذي يفسر الخصائص النمطية والبنيوية للنسق الدولي. [٧]

وتجدر الإشارة إلى كتاب Hedley Bull: "The Anarchic Society" "1977 والذي اهتم فيه بمفهوم النظام order في العلاقات الدولية، لقد عرف النظام بوجه عام على أنه: "صورة النشاط الذي يُطوع بعض الأهداف الاجتماعية الأساسية في المجتمع، مثل تحقيق الأمن في مواجهة العنف غير المنظم "الإرهاب"، مع الحفاظ على مفاهيم السيادة والسلام حيث هما الحالة الطبيعية أو الأصلية بين الدول "لقد استخدم Bull هذه الأهداف وكيَّفها لتوضيح خصائص المجتمع الدولي international Society، حيث الدول ذات السيادة هي أعضاء هذا المجتمع، والسلام هو الوضع الطبيعي لوجودهم المشترك. لقد فرق Bull تفريقاً هاماً بين المجتمع الدولي والنسق الدولي، فالمجتمع الدولي يتصف بإجماع الدول على أنهم يمتلكون مصالح عامة مشتركة وأنهم مرتبطون ببعضهم البعض بقواعد عامة common rules ومؤسسات institutions. وبالرغم من افتقار المجتمع الدولي إلى السيادة الكاملة – على حد قول Bull – إلا أن العلاقات الدولية هي أكثر من مجرد مجموعة من الدول المتنافسة على مصالحها الذاتية. ويعرف المؤسسات على أنها: "مجموعات العادات والممارسات التي تُشكل لتحقيق الأهداف العامة وتشمل ميزان القوة، القانون الدولي، الديبلوماسية والحرب". وبوجود القوى العظمى والدور الذي تقوم به، فإن هذه

المؤسسات وكذا الأنماط مثل السيادة وعدم التدخل كانوا بمثابة "الضامن" للنظام القائم واستمراريته. وكان Bull متشككاً في إمكانية "تغير" هذا النظام طالما ظلت هذه الأنماط موجودة، ولكن "حقوق الإنسان" جاءت لتوازن تأثير السيادة وعدم التدخل.[٨]

المبحث الثاني

المفاهيم الأساسية للمدرسة الإنجليزية

نشير بدايةً إلى أن مفهوم الأساس لدى المدرسة الإنجليزية هو المجتمع الدولي، أي مجموعة من الفاعلين الدوليين الذين يتشاركون مؤسسات عامة. ويؤكد البعض على أن المدرسة الإنجليزية تجيب عن تساؤلين هما: من هو عضو المجتمع الدولي الذي تتم دراسته؟ وكيف يرتبط الأعضاء ببعضهم البعض؟[٩] وللإجابة عن هذه التساؤلات ينطلق البعض من أفكار المدرسة الإنجليزية التي تدور حول ثلاثة مفاهيم أساسية وهي: النسق الدولي، المجتمع الدولي والمجتمع العالمي، ويختلف تعريف وخصائص كل منها عن الآخر، وفي بعض كتابات المدرسة الإنجليزية نجد أن تلك المفاهيم ما هي إلا انعكاس لكل من هوبز وماكيافيللي من جهة وجروتيوس من جهة أخرى وكانط من جهة ثالثة. بحيث يربطها البعض بتقاليد Wight الثلاثة في العلاقات الدولية: الواقعية، العقلانية، الثورية. وفيما يلى تفصل للمفاهيم الثلاثة الرئيسية في المدرسة الإنجليزية.

أولاً، النسق الدولي International System:

ترتبط فكرة النسق الدولي بهوبز و ماكيافيللى والواقعية، وتدور حول "سياسات القوة" بين الدول، وتضع البنية Structure والعملية Process في قلب العلاقات الدولية التي تتسم بدورها بالفوضى. وهذا بالقطع يوازى ما جاء في الواقعية والواقعية الجديدة، وبذلك نجد أن جل تلك المفاهيم تُدرس خارج المدرسة الانجليزية. وتهتم في النهاية بالوضعية، والمادية، والعقلانية والنظريات البنيوية. [١٠] يقول هيدلي بال

Bull إن المجتمع الدولي المعاصر لايزال فوضوي حتى الآن، طالما لاتوجد حكومة عالمية تتمكن من فض النازعات بين الدول ذات السيادة. (١١)

ثانياً، المجتمع الدولي International Society:

يرتبط مصطلح المجتمع الدولي في كتابات المدرسة الإنجليزية بجروتيوس والعقلانية. ويطلق عليها البعض State-System "نسق الدولة" أو مجتمع ما بين الدول "مجتمع الدول" Interstate Society أو Society of States. ويتعلق الأمر هنا بالتحول المؤسسي Institutionalization للمصالح المشتركة وكذا الهويات بين الدول وإصلاح الأنماط المشتركة Shared norms، والقواعد rules والمؤسسات institutions وجعلها بمثابة القلب في العلاقات الدولية. وتتمثل الفكرة الأساسية للمجتمع الدولي في: أنه كما يعيش البشر والأفراد في مجتمعات يؤثرون فيها ويتأثرون بها في نفس الوقت "أى يشكلونها وتقيدهم"، فإن الدول أيضاً تعيش في مجتمع دولي يشكلونه ويتأثرون به. (١٢)

ووفقاً لتعريف Bull، يظهر المجتمع الدولي عندما "تقوم مجموعة من الدول التي تدرك وجود مصالح وقيم شركة معينة بينها، بتشكيل مجتمع. بمعنى أنها ترى نفسها ملزمة بمجموعة من القواعد المشتركة في علاقاتها ببعضها البعض، وتتشارك فيما بينها في أعمال المؤسسات المشتركة. ومن الجدير بالذكر أن هذا التعريف له استخدامات متعددة داخل المدرسة الانجليزية نفسها. فالبعض يرى أن هذا التعريف هو عبارة عن مجموعة من الأفكار الموجودة في أذهان رجال الدولة. ويرى آخرون أنه مجموعة من الأفكار الموجودة في أذهان المنظرين السياسيين، أو كما يرى الفريق الثالث أنها مجموعة ومن المفاهيم المفروضة من الخارج والتي تُعرف الهياكل المادية والاجتماعية للنظام الدولي.(١٣) وبذلك يدين المجتمع الدولي بالفضل إلى المؤسسات الرسمية وغير الرسمية التي تنظم سلوك الفاعلين وتسمح بالتعاون الدولي. (١٤)

ويذهب Bull إلى أن هذا النظام يمكن أن يوجد بين دول لا تشعر أنها تنتمي إلى حضارة مشتركة، بل يكفي الاحتياج البراجماتي كي ينتج "الثقافة الدبلوماسية"، أي تلك المعاهدات والمؤسسات التي تحفظ نظام بين الدول التي تفرقها الثقافة والأيديولوجيا، ويضيف أن الثقافة الدبلوماسية ستكون أقوى إذا ما تم إرساؤها على "ثقافة سياسية دولية"، أي إذا اشتركت الدول في نفس النمط العام للحياة. ومثال

ذلك مجتمع الدول الأوروبي في القرن التاسع عشر حيث قام على ثقافة سياسية دولية، ولكن مع توسع هذا المجتمع ليضم كل أجزاء العالم، تراجع الإحساس بالإنتماء للحضارة المشتركة. ومع ذلك تم قبول القواعد الأساسية للمجتمع الدولي، التي تطورت في أوروبا بداية، من قبل الكثير من المستعمرات السابقة، التي أصبحت الآن أعضاء متساوية السيادة في أول مجتمع عالمي للدول. ويعتبر هذا المثال الوحيد على الثقافة الدبلوماسية في الوقت الحالي.(١٥)

يقول Wight أن المجتمع الدولي هو "عقد اجتماعي" بين "المجتمعات" التي نشأت بدورها من خلال عقدها الاجتماعي. ولكن ولأن الدول هي كيانات تختلف اختلافاً جذرياً عن الأفراد من البشر، فإن هذا "المجتمع الدولي" لا يناظر – أو لا يماثل – المجتمع الداخلى. ويرى "Bull" أنه يجب أن تتم دراسة المجتمع الدولي بشكل مختلف. هذا الرأى يتماشى – إلى حد ما – مع الواقعية حول الفوضى الدولية وصورة النسق الدولي وآلية عمله. ولكن إضافة "العنصر الاجتماعي" يمنح الدول تصور لصورة النسق وهو ما يمنحها سلوكها أو كيفية تفاعلها، فإذا اشتركت الوحدات في هوية مشتركة "دين، نظام حكم، لغة" أو حتى مجموعة مشتركة من الأنماط norms والقواعد "مثل السلوك الدبلوماسى"، فإن الفهم الذاتي المشترك "intersubjective understanding" يشكل سلوكهم وهوياتهم، كما يُعِّرف الروابط في النسق الاجتماعي Social system.(١٦)

وتهتم الدول – فرادى – والمجتمع الدولي بحماية الأهداف الأولية، لكن النسق الدولي يتميز بسبب طبيعته بالفوضى. فهناك قواعد أولية تحكم مواطني الدولة وتحدد لهم سلوكهم، وهناك أيضاً قواعد ثانوية، تحدد كيفية وضع تلك القواعد الأولية وتفسيرها وتفعيلها "أى قواعد منشئة وقواعد منظمة". وتتسع المؤسسات المركزية بسلطة وضع القواعد الأولية والثانوية في الدول – داخلياً – ولكن في المجتمع الدولي تضع الدول قواعدها الأولية وكذا قواعدها الثانوية التي تحكم وضع القواعد الأولية وتفسيرها وتطبيقها، ويضاف إلى ذلك أن للمجتمع الدولي مجموعة مميزة من الأهداف الأولية. ومن الملامح المميزة للمجتمع الدولي أن عضويته مقصورة على الدول ذات السيادة "وليست للأفراد أو شركات الأعمال"، وكذلك الاعتقاد بأن مجتمع الدول هو الشكل الشرعي الوحيد للتنظيم السياسي العالمي، وأن الدول ينبغى أن تحترم سيادة بعضها بعضاً. ويؤدى ذلك إلى كتابات – مثل كتابات Bull – حول النظام والعدل وكيف أن كليهما يصارع بعضه بعضاً.(١٧)

لقد فرق Bull بوضوح بين النظام order والعدالة Justice، حيث أن العدالة هي فكرة مثالية وذاتية "غير موضوعية". وبالتالي قال بأنه "لا يوجد رؤية شخصية لما يجب أن يكون عليه السلوك العادل أو أي تحليل فلسفي لتعريفه". واهتم بالأفكار التي يضعها الآخرون لما هو "عادل" من وجهة نظرهم لتحقيق متطلبات "التغير" – لا سيما من دول العالم الثالث – واختبر مدى اتساق ذلك مع النسق الدولي، ولكنه – Bull – لم يقر أي منهما. (١٨)

عناصر المجتمع الدولي:

(١) الدول ذات السيادة، وهي أول العناصر الرئيسية للمجتمع الدولي، وهي الصفة الفريدة المتعلقة بالعضوية أي أن تنحصر العضوية في الدول ذات السيادة. ويتفرع من ذلك أمرين، أولهما أن تدعي الدول السيادة، وثانيهما أن يعترف بعضها بحق بعضها الآخر في الحصول على الامتيازات نفسها. إنه "الاعتراف" المتبادل الذي يدل على وجود "ممارسة اجتماعية"، فالاعتراف أساس في علاقات الهوية وهو الخطوة الهامة في بناء المجتمع الدولي. ومن الجدير بالذكر أن العضوية والاعتراف إنما يحددان – لا سيما في القرن التاسع عشر – من خلال "مقياس الحضارة"، بمعنى تحديد معايير الحكم الداخلي الذي يتوافق مع القيم والمعتقدات الأوروبية. وما نعنيه هنا هو مدى أهمية التمايز الثقافي بالنسبة إلى التجربة الأوروبية في المجتمع الدولي. فلم يتم الاعتراف بالصين عضواً شرعياً في المجتمع الدولي، وبذلك فقد رُفض منحها العضوية المتساوية. وإذا لم يعترف الغرب والصين بعضهما ببعض كأعضاء متساويين، فكيف يمكن حينئذ أن نصف علاقاتهما؟ وبالرغم من حدوث الكثير من "التفاعل" بين الصين والغرب، إلا أن ذلك كان مدفوعاً بأسباب استراتيجية واقتصادية. لكن الأهم هو أن أياً من الطرفين لم يكن يرى نفسه جزءاً من القيم و المؤسسات المشتركة نفسها، فقد قاومت الصين ولحقبه طويلة، وجود الدبلوماسيين الأوربيين على أرضها، إلى جانب رفضها لولايتهم القضائية خارج الحدود الأقليمية لدولهم بالرغم من وجود هذه السيطرة – فعلياً – منذ أمد بعيد عند القوى الأوربية. وبذلك كانت – وحتى العام ١٩٤٢ – الصين جزءاً من منظومة الدول لكنها لم تكن عضواً في المجتمع الدولي.(١٩)

(٢) **الفاعلين من غير الدول:** فالدول ذات السيادة ليست العنصر الوحيد في المجتمع الدولي، حيث تشير الملاحظة التاريخية إلى وجود شبكات ديبلوماسية على غرار الكنيسة الكاثوليكية والسلطات التي مُنحت إلى بعض الجهات الفاعلة من غير الدول، فكان لها الحق في شن الحروب أو احتلال الأراضي، حيث تم تسليمها إلى شركات تجارية تنتمي إلى العصر الامبريالي. أضف إلى ذلك المنظمات

الدولية غير الحكومية NGOs والتي يمتلك بعضها النفوذ السياسي وتشارك الأمم المتحدة في صياغة المعاهدات الدولية متعددة الأطراف. (٢٠)

(٣) المصالح المشتركة: كالتبادل التجارى أو حرية التنقل، أو مجرد الحاجة إلى الاستقرار. وكلما كانت مستويات الاعتمادية أعلى، زادت احتمالات إنشاء الدول للمؤسسات بهدف تحقيق المصالح والغايات المستقبلية. إلا أن استقلال الدول ذات السيادة يبقى عاملاً مقيداً لتحقيق الأهداف المشتركة. فعلى سبيل المثال، نجد أن معاهدة وست فاليا قد أرست قواعد من شأنها الإبقاء على نسق دولي يضم دول ذات سيادة. ولكن وقوع الحرب كان يعني انهيار "هذا النظام"، ويرى "Bull" أنه وبالرغم من وقوع الحربين العالميتين الأولى والثانية، إلا أنه قد تم احترام قوانين حرب معينة، وحتى بعد انتهاء الحرب، حدثت محاولة لبناء نظام عالمى جديد "order" مبني إلى حد كبير على القواعد والمؤسسات نفسها التي كانت فاعلة خلال حقبة ما قبل الحرب، وهذا دليل على أن عنصر "المجتمع" كان موجوداً دائماً في منظومة الدول الحديثة. وينتقد بعض الأكاديميين هذه الآراء جميعها. (٢١)

توجد مجتمعات الدول لأن معظم المجتمعات ترغب في تقييد استخدام القوة، وإضفاء التحضر على علاقاتها الخارجية. وهنا يثور التساؤل: هل هناك بعض الدول أكثر ميلاً من غيرها لتحقيق قيم خاصة بالمجتمع الدولي وحماية مؤسساته أم أن الغلبة هي للدول التي تتطلع لفرض إرادتها على غيرها، ويرى كتاب المدرسة الإنجليزية أن المجتمع الدولي يمكن أن يكون متعدد الطوائف، وأن يضم تلك الدول ذات الثقافات ونظم الحكم المختلفة جذرياً، وهذه هي المهمة المركزية للدبلوماسية من وجهة نظرهم. ولم يقتنع أصحاب المدرسة الإنجليزية بأن أعضاء المجتمع الدولي ينبغى أن تكون لديهم نفس الأيديولوجيا. تتعلق المسألة هنا بمدى تأثير "الداخل" على "الخارج"، بمعنى إلى أي حد تستطيع قيود حالة الفوضى التغلب على تلك التفضيلات، أى كيف يؤثر الداخل على الخارج وبالعكس. ومثال ذلك، كيفية تغير مبادئ الشرعية الدولية عبر القرون. فقد استبدلت مبادئ الحكومة الملكية بفكرة أن الشعب – أو الأمة – هي المالك الحقيقي لقوة السيادة، وأثناء ذلك تغيرت القواعد الحاكمة لعضوية المجتمع الدولي، إن تلك المبادئ للشرعية تحدد مساحة التقارب بين السياسات الدولية والداخلية فهي المبادئ السائدة – أو على الأقل المعلنة – داخل أغلبية الدول التي تشكل المجتمع الدولي، وكذلك علاقات تلك الدول ببعضها

البعض. وتجدر الإشارة إلى أن هذه النقطة تحديداً تفسر الإدعاءات الأمريكية بأن الأعضاء الشرعيين للمجتمع الدولي يجب عليهم احترام حقوق الإنسان والالتزام بالديمقراطية. (٢٢)

– أنواع المجتمعات الدولية:

للمجتمعات الدولية نوعان وهما التعددية Pluralism والتضامن Solidarism، ويرتبطان تحديداً بالجدال حول النظام والعدالة، حيث صك Bull هذين المصطلحين، وتحولا لمفهومين محورين للجدال النمطي في المدرسة الانجليزية.

(١) التعددية Pluralism:

يشير المصطلح إلى الخلاف المجتمعي إزاء محورية مفهوم الدولة، حيث الإعلاء من شأن السيادة وعدم التدخل وذلك في سبيل احتواء ودعم استمرارية التنوع الثقافي والسياسي. وهذا يعني الحفاظ على الوضع الراهن والإبقاء على النظام. يقول Bull أن التعددية تؤكد على أن النسق غير العادل لا يحقق الاستقرار وبالتالي فإن النظام يشكل حالة العدالة في هذه الحالة. (٢٣)

يكون إطار العمل المؤسسي في المجتمع الدولي التعددي Pluralist international Society موجهاً نحو حرية الدول والحفاظ على النظام فيما بينها. ويتم الامتثال للقواعد لأنها مثلها مثل قواعد المرور لا يكلف الالتزام بها شيئاً نسبياً، لكن الفوائد الجماعية الناجمة تكون كبيرة. وتقوم القواعد والمعايير التعددية بإعطاء هيكل للتعايش المشترك، مبني على الاعتراف المتبادل بالدول بوصفها عضواً في المجتمع مستقلة وذات حقوق متساوية، وهذا الهيكل مبني أيضاً على المساعدة الذاتية self-help وهو مبني كذلك على حرية الدولة في تعزيز أهدافها الخاصة والمرهونة بحد أدنى من القيود. وبكلمة أخرى، فإن المدرسة الإنجليزية كانت ترى أن القوى العظمى والحروب المحدودة وتوازن القوى هي بمثابة "مؤسسات". ومن خلال هذا المصطلح، كان Bull وغيره يشيرون إلى الممارسات التي ساعدت في الحفاظ على النظام الدولي العام، وهي ممارسات تطورت عبر قرون عدة. فعلى سبيل المثال، إذا كان ميزان القوة ضرورياً للحفاظ على حرية الدولة، فينبغي إذاً لقوى الوضع الراهن أن تكون مستعدة للتدخل لكبح القوة المتنامية للدولة التي هددت التوازن العام. (٢٤)

(٢) التضامنية Solidarism:

لقد كان نقاد التعددية يتهمونها بأنها لا تفي بالوعود. وتشير استمرارية الحروب بين الدول طوال القرن العشرين إلى أن معايير السيادة لم تكن كافية لردع الدول ذات الأطماع. علاوة على ذلك، فقد كانت قاعدة عدم التدخل – التي كانت أساسية في التعددية– تخول النخب الدولية إلى أن تسيء معاملة مواطنيها. وبالتالي توجه البعض نحو تصور مختلف عن المجتمع الدولي تقوم فيه القيم للجميع مثل حقوق الإنسان التي تضع حدوداً على ممارسة الدولة لسيادتها. وهذه الفكرة يلخصها مصطلح التضامنية "solidarism"، حيث أن الروابط التي تربط الأفراد بمجتمع الجنس البشرى الكبير هي أعمق من القواعد والمؤسسات التعددية التي تفرق بينهم. (٢٥)

ما الذي يشير إليه هذا المصطلح؟ يعرف Bull التضامن على أنه: "القوة الجماعية للقوانين الدولية ووصاية مبدأ حقوق الإنسان". وتختلف التضامنية عن الكوزموبوليتانية في أن الأخيرة ما هي إلا ترتيبات مؤسسية لإنتاج أو توليد قيم عالمية، فهم يؤمنون بأن الحكومة العالمية هي أفضل صورة. وعلى العكس من ذلك فإن التضامن ما هو إلا امتداد لمجتمع دولي وليس تحولاً عنه. ومثلها مثل التعددية، فإن التضامنية تُعرف بالقيم والمؤسسات المشتركة وتقوم من خلال قواعد وقوانين شرعية، ولكنها تختلف في مضمون هذه القيم ونوعية القواعد والمؤسسات، فالقيم لدى المجتمع الدولي التضامني، يمثل الأفراد فيها حجر الأساس في الحقوق الأساسية basic rights. وهذا بدوره يتطلب تحديث أنماط السيادة بحيث تحمل أعضاء المجتمع الدولي واجب ومهمة التدخل لحفظ وحماية هذه الحقوق. ولكن Bull كان متردداً بشأن أمثلة التضامنية، فقال إن فرض حقوق الإنسان بالقوة إنما يشكل خطراً على "النظام الدولي" وبالتالي فإن الوصول إلى حالة global solidarism إنما يشكل تهديداً أكثر من كونه فائدة. (٢٦)

– مستويات المجتمع الدولي ومؤسساته: (٢٧)

(١) مجتمع سياسات القوة A Power Politics inter-state Society

ويعرف على اعتباره علامات عداء في الأساس "وهي الأصل في العلاقات الدولية" واحتمال نشوب الحرب، وبذلك فإنه يمنح مساحة ضئيلة أو صغيرة للمؤسسات الأولية "Primary institutions".

البقاء هو الهدف الأساسى للدول "ولا توجد قيم مشتركة"[٢٨]. ولا وجود للمؤسسات الثانوية في هذا المجتمع. ومجتمع سياسات القوة يحتاج إلى وسائل اتصال سلطوية حتى لو كان ذلك "لصنع" الأعداء، وكذا في الدبلوماسية. وتشير التجربة التاريخية إلى وجود بعض المؤسسات مثل "الملكية".

(٢) مجتمع الوجود المشترك **A Coexistence interstate Society**

ويعرف على أساس نموذج وست فاليا لنسق توازن القوة حيث الأخير هو مبدأ تنظيمي مقبول لدى القوى العظمى، الحرب والقانون الدولي. وما سبق كله هو بمثابة مؤسسات أساسية للمجتمع الدولي. وهذا هو مجتمع Bull التعددي، ويقارب تجربة التاريخ الأوروبى الحديث حتى ١٩٤٥. وبمصطلحات "وظيفية"، فإن هذه **المؤسسات** الكلاسيكية تغطى وسائل متطورة وهي الاتصال السلطوى "الرسمى" أي "الديبلوماسية" والعضوية "أي الدول ذات السيادة"، وحدود استخدام القوة "أي الحرب وميزان القوة وإدارة القوى العظمى"، الملكية "أي الإقليم"، الاتفاقيات "أي القانون الدولي". وفي سياق "العضوية" فإن الاستعمار هو خيار متاح لمثل هذا المجتمع حيث يقدم محلاً للتوسع خارج منطقة "القلب". بذلك يمكن للمجتمعات الدولية الإقليمية أن تتواجد بصورة مجتمع عالمي أصغر، يتميز بدرجة أقل من كثافة شبكة الأنماط والقواعد والمؤسسات. [٢٩]

(٣) المجتمع التعاوني **A Cooperative interstate society**

ويُعرف المجتمع التعاوني على أنه: التطورات التي تلي مجتمع الوجود المشترك، فيتعدى ذلك النموذج مجتمع الوجود المشترك وهو بذلك يحوي مجموعة غنية من المؤسسات الثانوية. وليس من الصعب تصور أن كل من السيادة والملكية "الإقليم" والقومية والديبلوماسية والقانون الدولي لا يزالون يحظون بالأهمية، وذلك على الرغم من بعض التعديلات والتفسيرات أو بكلمة أخرى"إعادة النظر في طبيعة هذه المؤسسات". وبالنظر إلى الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي، والجدل حول النسق الدولي الأحادي والمتعدد، نجد أن إدارة الدول الكبرى لا تزال تحظى باعتبار. وتتميز المجتمعات التعاونية بتطور في العضوية، وفي المؤسسات المعنية بالاتفاقيات، وتضع قيوداً أقوى على استخدام القوة. ومن شأن مجتمعات مثل هذه المجتمعات أن تقلل من حدوث الحرب "كمؤسسة".

(٤) المجتمع التوافقي **A Convergence interstate society**

ويقوم على أساس تطوير مدى واسع من "القيم المشتركة" الموجودة في مجموعة الدول، مما يجعل هذه الدول تتبنى سياسات متشابهة، وأشكالاً قانونية واقتصادية متماثلة. وهذا لا يوظف فقط مؤسسات قوية تشمل كل الوظائف، بل أيضاً يحدد وبدقة ظروف العضوية membership. ومن الجدير بالذكر أن ما يحدد نوع هذا المجتمع هو نموذج الاقتصاد السياسي Model of political economy الذي تتوافق عليه الدول الأعضاء: ديمقراطية ليبرالية، ثيوقراطية إسلامية، موناركية "ملكية" وراثية، امبراطورية، شيوعية شمولية وهكذا. هذا الخيار يحدد الممارسات Practices والنظم القانونية التي تُعرِّف المؤسسات. وقد تظل بعض المؤسسات التعددية قيد العمل، على الرغم من أن بعض المؤسسات لا يقل دورها كالحرب وميزان القوة.

ثالثاً، المجتمع العالمي World Society:

وهو العنصر الثالث في ثلاثية المدرسة الانجليزية، ومفهوم المجتمع العالمي يوازي مفهوم المجتمع الدولي، إلا أن هناك فارقاً أساسياً واحداً وهو أنه "يشير إلى المصالح والقيم المشتركة التي تربط جميع أجزاء الوطن البشري المشترك human community. إن تعريف المجتمع العالمي يشمل كل ما هو خارج المجتمع الدولي، مثل: مطالب الأفراد بحقوق الإنسان، مطالب السكان الأصليين بالحكم الذاتي وحاجة المؤسسات عبر القومية إلى اختراق سيادة الدول، باختصار هي الثقافة الكوزموبوليتانية. ومن مؤشرات ذلك الأهمية المتزايدة للقيم عبر القومية المتأصلة في المفاهيم الليبرالية للحقوق والعدالة. إذ يمكن للهويات عبر القومية أن ترتكز إلى أفكار تتسم بالكراهية والتعصب. ومثال ذلك في مجموعة كبيرة من استفتاءات الرأي العام العالمي التي أظهرت أن أقوى الولاءات السائدة هي للعقائد الدينية وليس للدولة.[٣٠]

فإذا كان المجتمع الدولي يركز على الدول كأعضاء، فإن المجتمع العالمي يصل إلى ما وراء الدولة باتجاه صورة المواطنة العالمية، وبالرغم من أن فكرة المجتمع العالمي تشكل تحدياً لفكرة المجتمع الدولي، إلا أن الأخيرة هي الأفضل والأكثر وضوحاً من وجهة نظر كثيرين. فالمجتمع العالمي يمثل التباساً بل وعائقاً للتفكير في البنية الاجتماعية للنسق الدولي Social structure for international system . والسبب الرئيسي في ذلك هو فشل المدرسة الانجليزية في التفريق بين نظرية نمطية ونظرية عن الأنماط،

ولذلك تتبع المدرسة الانجليزية تفسير Wendt البنائي لأن الأخير قد أخذ بكل من: القراءات الاجتماعية البنيوية للمجتمع الدولي ورفض النماذج التقليدية في العلاقات الدولية. (٣١)

ويرى كثيرون أن مفهوم المجتمع العالمي كان الأقل حظاً في المدرسة الإنجليزية، فهو لم يحظ بالاهتمام الكافي ولا بتطوير مفاهيمي مناسب. ويرى Buzan أن: (١) تحتاج المدرسة الإنجليزية إلى توضيح فكرة المجتمع العالمي إزاء غيرها من المفاهيم. (٢) لن يتم تطوير للمدرسة الإنجليزية إلا بتقوية وتوضيح فكرة المجتمع العالمي الذي هو أحد أعمدة هذه المدرسة. (٣) يمكن استخدام مفهوم المجتمع العالمي في إثراء مفهوم العولمة Globalization. ويرى Little أن مفهوم المجتمع العالمي هو من: "أكثر المفاهيم غموضاً في المدرسة الإنجليزية". فنجد أن هناك توافق مفاهيمي في ربط النسق الدولي بالواقعية وبهوبز، وكذا في ربط المجتمع الدولي بالعقلانية وجريتوس، لا يوجد في ذلك أى صعوبات في الفهم. ولكن ربط المجتمع العالمي بالثورية وكانط يدق نواقيس عديدة: فالثورية Revolutionism خارج النطاق وبعيدة عن كل ما يمكن شرحه عن المجتمع الدولي. وليس من الواضح كيف تلائم أفكار Kant هذه الصورة. فنجد على سبيل المثال مفاهيم تجتمع معاً لتشكل فكرة المجتمع العالمي، مثل العابر للقومية أو الأيديولوجيات العالمية. ولكن ذلك لا يتوفر لدى المجتمع العالمي، والأسوأ من ذلك، فإن المجتمع العالمي يفتقر إلى نسق عالمي يميزه "World System" ويكمله، على خلاف كل من المجتمع الدولي والنسق الدولي اللذين يشكلان مجموعة واضحة ومتمايزة تفرق بين "الأنساق الفيزيائية – المادية" و"الأنساق الاجتماعية – غير المادية". (٣٢)

ويحاول البعض تفسير مدلول مصطلح المجتمع العالمى فيقولون أنها فكرة تهتم بالأفراد والمنظمات غير الحكومية، والشعب العالمى Global population ككل، وتعتبرهم محور اهتمام الهويات الاجتماعية العالمية. وتعني الثورية التي يرتبط بها اسم المجتمع العالمي: أشكال المواطنة العالمية، ويرى البعض أن ذلك قد يشمل الفكرة الشيوعية ولكن Waever يؤكد أنها اليوم تعني الليبرالية فقط. ويرتبط ذلك التفسير بقول Halliday القاضي بأن المدرسة الانجليزية لا تولي الاهتمام الكافي للثورة revolution. وهذا الرأي يقترب من فكرة العبر قومية. إن المجتمع العالمي لا يركز على ماهية الدولة، ولكنه يعطي أهمية للعنصر عبر القومي، ولا يركن بالكامل إلى الأفراد. (٣٣)

ومن هنا يمكن القول بأن المجتمع العالمي يهدف بوضوح إلى نسق "لا" دولي – مبني اجتماعياً، ولكن ما هو الجزء المادي؟ يرى البعض أن العبر قومية transnationalism ترتبط بالمجتمع العالمي كما

ترتبط بالمجتمع الدولي وبنفس الدرجة، وهذا لا يضيف شيئاً ولا يوضح شيئاً، ويقترح Bull فكرة نسق سياسي عالمي a world political system ليقوم بدور المكون المادي للمجتمع العالمي، بحيث يتكون من تفاعل الدول بالإضافة إلى الفاعلين من غير الدول. ولم يذهب Bull إلى أبعد من هذه الفكرة فقال إنه لا داعي لإضافة أية تعقيدات. لقد ترك منظرو المدرسة الانجليزية كل المفاهيم التي لا يريدون الخوض فيها في المجتمع العالمي وكأن هذا المفهوم هو مكان للأفكار المسكوت عنها. (٣٤)

مشكلة أخرى تواجه المجتمع العالمي، قوامها الخلاف على طبيعة العلاقة بين المجتمع العالمي والمجتمع الدولي. إن العودة إلى تاريخ هذه العلاقة يؤكد على أن المجتمع العالمى "في صورة ثقافة مشتركة" هو متطلب **سابق** للمجتمع الدولي. يقول Wight في ذلك: "لابد لنا أن نفترض أن نسق من الدول states-system – مثل المجتمع الدولي – لن يبدأ بالفعل إلا إذا كان هناك درجة من الوحدة الثقافية Cultural unity بين أعضائه. ولقد قَبِل Bull بوجود مظهر عام مشترك للحالات التاريخية الأساسية للمجتمعات الدولية وهي: "وجود هذه المجتمعات الدولية على خلفية ثقافية مشتركة أو حضارة مشتركة". ومعظم الأمثلة التاريخية المسجلة من اليونان القديمة وحتى أوروبا الحديثة تدعم هذه الفكرة، بمعنى ضرورة وجود ثقافة مشتركة لنصل لمرحلة المجتمع الدولي. وفي حالة توسع المجتمع الدولي "الأوروبى" فإن دول من ثقافة مختلفة قد تنضم لهذا المجتمع، الأمر الذي يثير أسئلة حول كيفية "تفاعل" الأنماط والقواعد rules والمؤسسات الداخلية الموجودة في حضارات مختلفة، وما إذا كانت مختلفة، وما إذا كانت الأنماط الدولية "international norms" دائمة تحت هذه الظروف أم لا. (٣٥)

نخلص مما سبق إلى أن ما يفرق بين المجتمع الدولي والمجتمع العالمي هو مستويات الدولة والفاعلين من غير الدول، ومدى الاختلاف بينهما. كما أن الفرق بين المفاهيم "المادية" و"الاجتماعية" يتماشى مع الخطوط الأساسية لكل من النسق الدولي والمجتمع الدولي، ولابد أن تفرق هذه المفاهيم "المادية والاجتماعية" بين النسق العالمي world system والمجتمع العالمي world society. أضف إلى ذلك تزايد الحاجة غلى توضيح الفروق "الاجتماعية" بين المجتمع الدولي والمجتمع العالمي وكذا تطبيقات تلك المفاهيم في سبيل فهم "التعددية" في مقابل "التضامنية". وأخيراً فإن وحدات التحليل التي تُعرف "المجتمع العالمي" من الأفراد والفاعلين عبر القوميين، وسواء كان من الممكن اعتبارهم يتفاعلون معاً أم لا، أم هم مجرد مفاهيم نظرية، إلا أنه من الضروري إبقاؤهم منفصلين عن بعضهم البعض. (٣٦)

التقاليد الكلاسيكية الثلاثة لنموذج المدرسة الانجليزية

– **جروتيوس** – العقلانية – المجتمع الدولي – المحافظة/ التعددية – التقدم/ التضامنية	– **هوبز أوماكيافيللى** – الواقعية – النسق الدولي – تعظيم القوة/ الامبريالية – الهدف الأمنى/ الدفاعى
– **كانط** – الثورية – المجتمع العالمي • العالمية • التطور	

يظهر هذا الشكل التوضيحى التقاليد الثلاثة للمدرسة الإنجليزية والمفاهيم الأساسية المرتبطة بها. (٣٧)

وتجدر الإشارة إلى أن هناك ثلاثة محاور تميز اتجاه المجتمع الدولي عن غيره من الاتجاهات:

فإما أن يكون المجتمع الدولي:

(١) مجموعة من "الأفكار" في أذهان ولغة الفاعلين الدوليين.
(٢) مجموعة من "الأفكار" في عقول المنظرين السياسيين.
(٣) مجموعة من مفاهيم تعرف البنى المادية والاجتماعية في النسق الدولي في سبيل تحليل النسق الدولي تحليلاً أكاديمياً.(٣٨)

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد بعض المفاهيم التي تفسر أفكار المدرسة الانجليزية ومنها: مجتمعات المستوى الأول ومجتمعات المستوى الثاني، والمؤسسات الأولية والمؤسسات الثانوية، وفيما يلى تفصيل ذلك:

- **مجتمعات المستوى الأول والمستوى الثانى:**

مجتمعات المستوى الأول هم أفراد البشر، وهم يمثلون اللبنة الأولى أو المادة الأولية في علم الاجتماع وكل ما يندرج تحت مسمى المجتمع العالمي "world society" هو من مجتمعات المستوى الأول. أما مجتمعات المستوى الثاني فهم ليسوا الأفراد بل هم المجموعات المستمرة من البشر "مثل الدول States" التي تتكون بدورها من هويات وفاعلين هو أكثر من مجرد مجموع عددي لأجزائه. وكما سبقت الإشارة، فإن المدرسة الإنجليزية ترفض المناظرة بين ما هو "داخل" الدولة والمجتمع الدولي [٣٩]، فهي تراه بشكل مختلف. ومصطلح مجتمعات المستوى الأول والثاني ليس شائعاً، ولكن فكرة مجتمع دولي تتطلب القبول بشئ مثل مجتمعات المستوى الثاني. ومن منظور المدرسة الإنجليزية، فإن العلاقات الدولية تهتم بمجموعات المستوى الثاني وهو موضوع يهمله علم الاجتماع.

- **المؤسسات الأولية والمؤسسات الثانوية:**

ويمثل هذا المصطلح قلب فكر المجتمع الدولي. ويرتبط بالإستخدام الشائع للمؤسسة، الذي يمكن أن يفهم إما في (١) سياق محدد على اعتبار منظمة أو منشأة تختص بأشياء معينة. أو(٢) في سياق عام على اعتباره مجموعة من الأعراف والقوانين وأنماط العلاقات في مجتمع معين.

– **المؤسسات الأولية:** ويقصد بها الأعراف والقوانين أو نمط العلاقات في مجتمع معين. إنها ممارسات عميقة ومترابطة بشكل تبدو عليه أنها "ظهرت" ولم "تصمم" – فكرة الآلية أو التلقائية – هذه الممارسات ليست فقط مشتركة بين أعضاء المجتمع الدولي ولكنها تعتبر السلوك المشروع [٤٠] بينهم "Legitimate behavior".[٤١] تتعلق المؤسسات الأولية بالهوية المشتركة لأعضاء المجتمع الدولي والتي يعرفون بها ليس فقط الشخصية الأساسية ولكن أيضاً بأنماط السلوك المشروع في علاقاتهم ببعضهم البعض.

فعلى سبيل المثال، نجد أن مبادئ وست فاليا المكونة من السيادة والملكية، ميزان القوة والحرب و الدبلوماسية القانون الدولي وإدارة القوى العظمى للنسق بالإضافة إلى القومية، قوى السوق كلها بمثابة مؤسسات أولية، يمكن أن نجد المؤسسات الأولية أينما وجدت الدول.

– **المؤسسات الثانوية:** وهي تلك التي تهتم بالمؤسسات الليبرالية والتي ترتبط بالإستخدام التنظيمي للمصطلح. وهذا بدوره ينتج أشكالاً محددة من المجتمع الدولي "في معظمها ليبرالية" وهي

ترتيبات بين حكومات تصممها الدول وتشكلها لخدمة أهداف وظيفية محددة، وهذا يشمل: الأمم المتحدة، البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية، نظام الحد من انتشار الأسلحة النووية. ظهرت المؤسسات الثانوية كجزء من الحداثة الصناعية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر. [٤٢]

نخلص مما سبق إلى أن المدرسة الإنجليزية تؤكد على مايلي: [٤٣]

١–إن المجتمع الدولي هو فوضوي ولاشك، طالما لايوجد حكومة عالمية تدير الصراع بين الدول ذات السيادة.

٢–فيما عدا حالة الفوضى الدولية، يعترف المجتمع الدولي بدور المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، التي تنظم السلوك بين الفاعلين في النسق الدولي.

٣–تجيد المدرسة الإنجليزية تتبع نشأة الفاعلين وممارساتهم عبر التاريخ، الأمر الذي يسمح للمحللين بتفسير كيفية ظهور سلوك معين – مثل الامبريالية – ليكون السلوك السائد في النسق الدولي

المبحث الثالث

الفروض الأساسية للمدرسة الإنجليزية

لاشك أن المدرسة الانجليزية تضع فروضاً أساسية تشكل إطارها النظري، فيما يلي تفصيل لهذه الفروض: [٤٤]

الفرض الأول:

يمكن فهم العالم على أنه مجتمع فوضوى أو دولي International or anarchic society حيث أنه يتكون من "الدول" وفاعلين من "غير الدول" في آن. والتأكيد هنا على مفهوم المجتمع "Society" والذي لا يقبله الواقعيون حيث يؤكدون على الفوضوية.

الفرض الثاني:

يلعب مفهوم النظام "order" في المجتمع الفوضوى دوراً هاماً في النظرية. فالنظام لا ينتج ببساطة من القوة وميزان القوة ولكنه ينشأ عن قبول القواعد والقوانين والترتيبات المؤسسية التي تتصف بأنها مصالح رشيدة سواء للدول أو لغيرها من الفاعلين. وعلى غرار الواقعيين الكلاسيكيين، فإن أنصار المدرسة الإنجليزية يدركون أهمية كل من القوة "المكون المادي" وكذا الأفكار والقيم والأنماط.

وكما نلاحظ نجد أن الواقعيين والليبراليين والليبراليين الجدد المؤسسين يستخدمون مفهوم الرشد "العقلانية" كفرض أساسى في نظرياتهم. ولكن المدرسة الانجليزية تنظر للعقلانية بصورة مختلفة. فكما يقول جرويتوس "أبو القانون الدولي" فإن عقلانية المدرسة الانجليزية تعنى القواعد rules والقوانين laws والترتيبات المؤسسية التي تنشؤها الدول لتوفير درجة من النظام order في مجتمع دولي فوضوى. وعلى عكس ما يؤكده الواقعيون من تعريف للبنية وفق درجة القطبية "polarity" أو توزيع القوة، فإن البنية لدى المدرسة الإنجليزية تقترب من الإطار المؤسسى المبني على القواعد المتفق عليها.

الفرض الثالث:

تعترف المدرسة الإنجليزية بأخلاقيات كانط Kantian والفهم الأخلاقي ولكن ذلك يوازنه النظرة البراجماتية للمجتمع الفوضوى الذي تظل القوة والمصلحة فيه أمران مهمان.

يقول البعض إن المدرسة الإنجليزية بذلك هي بمثابة "حل وسط" middle way فهي تختلف عن الواقعية والمثالية في أنها تعترف بأهمية المؤسسات وقدرتها على التحديث moderate واحتواء المخاطر الموجودة في الحياة الدولية الفوضوية. (٤٥) ولكن قراءة في أدبيات المدرسة الإنجليزية تشي بأنها تقترب من المثالية. (٤٦)

نخلص مما سبق إلى أن المدرسة الإنجليزية هي مدرسة في العلاقات الدولية ترى العالم مكون من فاعلين دوليين اتفقوا على معايير مشتركة تجعل من سلوكهم أمراً قابلاً للتنبؤ. وبذلك يتشارك الفاعلون مؤسسات عامة تمثل الأنماط والقواعد والممارسات التي تحكم سلوك أعضاء المجتمع. أضف إلى ذلك

أن الأعضاء الذين ينتهكون مؤسسات المجتمع المدني يُعاقبون من قبل الأعضاء الآخرين، بحيث يتراوح العقاب من التحذيرات الشفهية إلى التدخل العسكري المباشر.(٤٧)

وفيما يلي تفصيل للأفكار الأساسية في المدرسة الإنجليزية، وهي تتمحور حول فكرة Martin Wight عن التقاليد الثلاثة وفكرة Hedley Bull عن المفاهيم الأساسية للمدرسة الإنجليزية. يقول Wight أنه ومن خلال تاريخ نسق الدول الحديثة نلاحظ وجود ثلاثة تقاليد متنافسة:

١- **الهوبزية أو الواقعية Hobbesian or realist tradition** والتي تصف العلاقات الدولية بأنها حالة حرب الكل ضد الكل، وهي حالة صراع تامة بين الدول وفي سبيل تحقيق المصلحة التي تتميز بأنها مباراة صفرية zero-sum game، بمعنى أن ما يكسبه طرف يخسره الطرف الثانى بالكلية. والنشاط الدولي من وجهة نظر هوبز هو الحرب فقط والسلام ما هو إلا الأوقات التي لا حرب فيها، فالحرب هي الأصل في العلاقات الدولية.

٢- **الكانطية أو العالمية Kantian or universalist tradition** فهي تذهب إلى النقيض وتأخذ السياسة الدولية ليس إلى الصراع بين الدول بل إلى روابط عبر قومية تربط الأفراد ببعضهم البعض، هؤلاء الأفراد الذين هم مواطنو الدول. والموضوع الأهم في العلاقات الدولية من وجهة نظر Kant هي العلاقة "بين" الدول relationship among stares والتي تركز بدورها على العلاقة بين الأفراد في كل اجتماع للنوع الانسانى. وفي مجتمع يضم كل النوع الإنساني "كافة البشر" فإن المصلحة بينهم واحدة وثابتة، وبالتالي فإن السياسة الدولية – وفق هذا المنظور – ليست مبارة صفرية كما يدعى هوبز، ولكنها تعاون تام وكامل بين البشر.

٣- **الجروتية أو الدولية Gratian or internationalist tradition:** وهي رؤية تقف في منتصف المسافة بين الهوبزية والكانطية، فالجروتية تصف السياسة الدولية في صورة مجتمع من الدول "Society of States". أى أنه على خلاف الثقافة الهوبزية نجد أن الجروتية لا تدخل الدول في صراعات مسلحة ولكن صراعاتهم محدودة وتنظم بواسطة قواعد عامة common rules ومؤسسات institutions، وكذلك نجدها على خلاف الكانطية تقبل الدعوى الهوبزية بأن الدول أو السيادات Sovereigns هم الواقع والكيانات الأساسية في السياسة الدولية وليس الأفراد. فالدول هم أعضاء المجتمع الدولي وليس أفراد المجتمع الإنساني human beings. وتفهم الجروتية السياسة الدولية على أنها ليست بالصراع التام بين

الدول ومصالحها ولا هي بالمصالح المتطابقة تمام التطابق، ولكنها عوضاً عن ذلك ترى أن السياسة الدولية هي مباراة a game تحتمل المكسب والخسارة. والنشاط الدولي الرئيسي لدى جروتيوس ليس الحرب بين الدول ولا هو صراع أفقي بين الدول "عابر للدول" ولكنه التجارة trade أو لنقُل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الدول economic & social intercourse. ووفق المنظور الجروتي للسلوك الدولي فإن الدول تلتزم في التعامل مع بعضها بالقواعد والمؤسسات في المجتمع الذي هم جزء منه. والالتزام بالقانون هو جزء من العقيدة الجروتية كما هو قبول الآخر والتعاون معه. [٤٨]

المبحث الرابع

الانتقادات الموجهة للمدرسة الإنجليزية

تواجه المدرسة الانجليزية العديد من الانتقادات يمكن أن نورد بعضها على النحو التالي:

١- تعمل الفروض الأساسية للمدرسة الإنجليزية على تمييع مفهوم السيادة في العلاقات الدولية.

٢-في الوقت الذي تعترف فيه نظريات العلاقات الدولية – في غالبيتها – بالدولة على اعتبارها الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية، نجد أن المدرسة الإنجليزية تعلي من شأن الفاعلين من غير الدول مثل منظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية والشركات متعددة الجنسيات. ومن خلال قوانين حقوق الإنسان والأنماط، تعلي من شأن الأفراد وتضعهم في مرتبة تعلو الدولة.

٣- المدرسة الإنجليزية هي تصور أوروبي خالص، حيث نشأت الدولة في أوروبا ومن ثم صدرت فكرة الدولة القومية للعالم كله، وهي بالتالي قصة نجاح أوروبية، وهي تتجاهل بذلك أحداث السيطرة والاستعمار وحتى الإخفاق في المجال الدولي، وهي تضع العالم "ضد" الغرب، وهذا كله يثير التساؤل: كيف ستنضم الدول غير الأوروبية إلى المجتمع الدولي، وكيف ستقبل أوروبا الدول غيرالأوروبية كأعضاء في المجتمع الدولي؟ [٤٩]

[٤٨] Hedlley Bull, **Op., Cit**., p. 266,267.

[٤٩] Paul Keal, **Op., Cit**., p. 250.

٤- كيف يمكن بناء أسس نمطية "أنماط" لمجتمع دولي مكون من دول لها العديد من الثقافات ما بين إسلامية وهندوسية وكونفوشيوسية وأفريقية، جنباً إلى جنب مع الحضارة والقيم الغربية؟[٥٠] ولكن البعض يقارع هذه الحجة بأن المدرسة الإنجليزية تسمح بعقد مقارنات بين المجتمعات الدولية الإقليمية المختلفة والتي قد تختلف اختلافاً ظاهراً في الفاعلين والمؤسسات.[٥١]

خاتمة

انتهينا في هذا البحث إلى التعريف بماهية المدرسة الانجليزية، وبأهم الفروض الرئيسية وكذا مادة هذه النظرية ومفهوم الأساس فيها. كما لاحظنا مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين النظريات التقليدية – لاسيما الواقعية – وهو الأمر الذي يفسر وجود العديد من الانتقادات الموجهة إلى المدرسة الانجليزية. فالنظرية الانجليزية هي مزيج من مداخل نمطية وأخلاقية وهي تبذل الكثير في سبيل التنظير لخصائص المجتمع الدولي. ولا تعترف هذه النظرية بسياسات القوة، بل تؤكد على أن السلام هو الوضع الطبيعي للعلاقة بين الدول، الأمر الذي يعرضها للعديد من الانتقادات. أضف إلى ذلك أن الدولة ليست بمثابة الفاعل الرئيسي بل نجد مكاناً ومكانةً للفواعل من غير الدول مثل المنظمات الدولية غير الحكومية والشركات متعددة الجنسيات بل والأفراد في بعض الأحيان. والمجتمع الدولي يتصف بإجماع الدول على وجود مصالح مشتركة، وبالتالي فهم يرتبطون بقواعد عامة ومؤسسات تجعل سلوك الدول – وغيرها من الفاعلين الدوليين – أمراً قابلاً للتنبؤ.

الهوامش:

١- تيم دان وآخرون، **نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع**، ترجمة: ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، يناير ٢٠١٦، ص، ٣٣٩.

2- Barry Buzan, **An Introduction to the English School of International Relations: The Social Approach**, Polity, Cambridge, 2014, p.6.

3- Michael Cox and Campanaro, R., **Introduction to International Relations,** London School of Economic and Political Science, University of London, 2016, p.84.

4- Griffiths, M., and Others, **Fifty Key Thinkers in International Relations**, 2ed Edition, Rout Ledge, New York, 2009, p.211.

٥- تيم دان، **مرجع سبق ذكره**، ص. ٣٤١.

6- Tim Dunne, **English School**, in: "Tim Dunne and Others, International Relations Theories: Discipline and Diversity, Second Edition, Oxford University Press, 2010, p. 139.

7- Griffiths, **Op., Cit**., p. 224.
8- In:
   a. -Hedley Bull, **Does Order Exist in World Politics**, in: "Paul R. Viotti, Mark V. Kauppi, **International Relations Theory**, Fifth Edition, Pearson, 2014, p.265.
   b. -Griffiths, **Op., Cit**., p. 313.

9- Michael Cox, **Op., Cit**., p.87.
10- Barry Buzan, An Introduction.., **Op., Cit**., p. 12.
11- Michael Cox, **Op., Cit**., p.84.
12- ibid., p. 12.
١٣- تيم دان، **مرجع سبق ذكره**، ص. ٣٥٤.
14- Michael Cox, **Op., Cit**., p.84.
١٥- أندرو لينكليتر، **المدرسة الانجليزية، نظريات العلاقات الدولية**، ترجمة: محمد صفار،، المركز القومي للترجمة"، القاهرة، ٢٠١٤، ص. ١٤٥. وانظر: Paul Keal, **International Society and European Expansion**, in: "Richard Devetak and Others, An Introduction to International Relations", Second Edition, Cambridge University Press, 2012, p. 246.
16- Barry Buzan, An Introduction.., **Op., Cit**., p. 13.
١٧- أندرو لينكليتر، **مرجع سبق ذكره**، ص. ١٤٥.
18- Martine Griffithes, **Op., Cit**., p. 216.
١٩- تيم دان، **مرجع سبق ذكره**، ص. ٣٥٥.
٢٠- المرجع السابق، ص. ٣٥٧.
٢١- المرجع السابق، ص. ٣٥٦.
٢٢- أندرو لينكليتر، **مرجع سبق ذكره**، ص. ١٤٦.
23- Barry Buzan**, Op., Cit**., p. 16.
٢٤- تيم دان، **مرجع سبق ذكره**، ص. ٣٦٠.
٢٥- المرجع السابق.
26- Tim Dunne, **Op., Cit**., p. 146.
27- Barry Buzan, **From International to World Society ?** English School Theory and the Social structure of Globalization, Cambridge, 2004, p. 190, 191.
٢٨- العداء والحرب هما بحد ذاتهما قيم مشتركة تؤدي إلى الصراع المسلح.
29- - Michael Cox, **Op., Cit**., p. 85.
٣٠- تيم دان، **مرجع سبق ذكره**، ص. ٣٧٠.
31- Barry Buzan, From International.., **Op., Cit**., p. 17.
32- ibid., p. 27.
33- Barry Buzan, An Introduction.., **Op., Cit**., p. 13.
34- Barry Buzan, From International.., **Op., Cit**., p. 27, 28.
35- ibid, p. 28.
36- ibid, p. 90.

37- Recourse: Barry Buzan, From International.., **Op., Cit**., p. 14.
38- ibid, p. 19.
٣٩- أندرو لينكليتر، **مرجع سبق ذكره**، ص. ١٤٦.
٤٠- يعرف البعض المؤسسات على أنها تشير إلى مجموعة من العادات والممارسات توجه إلى تحقيق أهداف معينة.
41- Martine Griffithes, **Op., Cit**., p. 213.
42- Barry Buzan, An Introduction.., **Op., Cit**., p17.
43- Michael Cox, **Op., Cit**., p. 87.
44- Paul R. Viotti, Mark V. Kauppi, **International Relations Theory**, Fifth Edition, Pearson, 2014, p. 238.
45- Tim Dunne, **Op., Cit**., p. 142.
46- Michael Cox, **Op., Cit**., p. 84.
47- Paul Keal, **Op., Cit**., p. 245.
48- Hedlley Bull, **Op., Cit**., p. 266,267.
49- Paul Keal, **Op., Cit**., p. 250.
50- Chris Brown and Kirsten Ainley, **Understanding International Relations, Palgrave,** Third Edition, 2005, p. 51.
51- Michael Cox, **Op., Cit**.,